مسألة: بعض آيات الصفات

قوله: (فمما جاء من آيات الصفات قوله تعالى: { وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ) } [الرحمن:27] شرح: قد عرفنا أن صفات الله - تعالى - تنقسم إلى قسمين: صفات ذات، وصفات فعل، وأن الصفات الذاتية هي التي تلزم الذات، وتكون ملازمة للموصوف بها دائمًا لا تنفك ولا تنفصل في وقت من الأوقات، فهي جزء من ذات الشيء التي هي ماهيته وما يتكون منه. فمثلا إذا قلنا: إن هذا الإنسان الماثل أمامنا يوصف بصفات ذاتية، وبصفات فعلية؛ فسمعه، وبصره، ولسانه، ويده، ورجله، وبطنه، وظهره أجزاء منه، وكذا أجزاؤه الباطنة كقلبه، ورئتيه، وكبده، وأمعائه هي أجزاء منه، فنحن نقول: إن الصفات الملازمة للموصوف هي صفات ذاتية. فالله - سبحانه وتعالى - له المثل الأعلى، وقد أخبر عن نفسه بأنه متصف بصفات ملازمة له لا يمكن أن تنفك عنه، فمن ذلك هاتان الآيتان، فصفة الوجه صفة ذاتية؛ لا يمكن أن يكون بلا وجه في وقت من الأوقات، وقد ذكر الله - تعالى - صفة الوجه في عدة آيات منها هذه الآية: { وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ } (الرحمن:27) ومنها قوله تعالى: { كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ } (القصص:88) . وترد في مواضع كثيرة كقوله تعالى: { إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى } (الليل:20) وكقوله تعالى: { إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا } (الإنسان:9) وكقوله تعالى: { وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ } (الكهف:28) . وهذه الآيات كلها دالة على صفة الوجه، فإذا أثبته أهل السنة؛ فإنهم يقولون: نثبته كما ورد، ولكن لا نخوض في أكثر من ذلك، ولا نقول: إن وجه الله يشتمل على كذا وكذا، حيث إن ذلك يحتاج إلى دليل، وهذا هو القول الصحيح. وأما الأحاديث فقد ورد - أيضًا - فيها كثيرًا إثباتُ صفة الوجه كقوله - صلى الله عليه وسلم - { وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلى رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن } رواه البخاري في التفسير برقم (4878)، ورواه المسلم في الإيمان برقم (180). وفي الحديث المشهور في الدعاء: { أسألك لذة النظر إلى وجهك } رواه النسائي في السهو (3/54، 55)، والإمام أحمد في مسنده (4/264، 5/191) وفي حديث الحجاب يقول صلى الله عليه وسلم: { حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره } رواه مسلم في الإيمان برقم (179). وغير ذلك ، وهي أحاديث صحيحة مشهورة تلقاها، وتقبلها أهل السنة، وآمنوا بهذه الصفة كما ذكرها الله وأثبتها لنفسه، وقالوا: هذه صفة كمال. وأما قوله تعالى: { وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ } (البقرة:115) فهذه تكلم عليها شيخ الإسلام ابن تيمية وقال: ليست من آيات الصفات، فإن المراد هنا (فثم وجه الله) أي: فثم وجهة الله التي وجهكم إليها لتصلُّوا إليها، فلا يصح استدلال أهل الحلول بها على أن وجه الله في كل مكان، تعالى الله عن قولهم، بل نقول: وجه الله في هذه الآية: الجهة التي يوجه العبد إليها؛ أي: فثَمَّ الوجهة التي وجهكم إليها، وأمركم بأن تتوجهوا إليها؛ لقول الله تعالى: { ولكل وجهة هو موليها } (البقرة: 148) ولا يقال: إن هذا تكلف، وإن هذا تأويل؛ لأن هذا تقتضيه اللغة. وأما من أنكر صفة الوجه وهم جميع المبتدعة كالمعتزلة، ومن انضم إليهم كالرافضة على عقيدة الاعتزال، وكذلك الخوارج، ومنهم الإباضية - ينفون صفة الوجه لله تعالى، ويفسرونه بالذات، إذا جاءتهم الآيات التي فيها إثبات الوجه قالوا: المراد الذات، قال تعالى: { وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ } (الرحمن:27) أي: ذاته، { كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ } (القصص:88) أي: ذاته. الجواب: إن هذا وإن كان صحيحًا في اللغة؛ أنه يطلق الجزء على الكل - لكن لا شك أنها دالة على إثبات صفة الوجه، وأنه جزء من الذات، فإن النص على الوجه يدل على ثبوته، والذات تابعة للوجه، ويرد عليهم أيضًا بالأحاديث التي فيها التصريح بالوجه كقوله صلى الله عليه وسلم: { لأحرقت سبحات وجهه } { إلا رداء الكبرياء على وجهه } فإنها دالة عليه صراحة، ونحن نؤمن بإثبات هذه الصفة ولا نكيفها، ومعلوم أيضًا أنها من صفات الكمال. وتأولها بعض المتأولين، وقالوا: المراد بالوجه عند العرب الجانب أو ما يعبر عنه بالبعض، أو نحو ذلك، ويقولون مثلا: وجه هذه المسألة كذا وكذا، أو وجه هذا الجواب كذا وكذا، فيحملونه على أنه: ما يفهم منه، أو ما يفسر به؛ ولكن هذا يصعب عليهم تأويله في الأدلة الكثيرة.